

1. مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا الكتاب يلقي الضوء علي أبرز القادة في تاريخ مصر من المصريين وغير المصريين ويوضح كيف تميزوا عن غيرهم من حكام مصر وفرضوا أنفسهم علي كتب التاريخ وكيف تعاملوا مع مصر كوطن مميز له طبيعة خاصة يختلف عن باقي الولايات التي حكمها بعضهم فقد سيطروا علي إمبراطوريات شاسعة تحتوي علي العديد من الدول وتزخر بالكثير من الشعوب والقوميات ولكن كانت لمصر معاملة خاصة دائماً فقد شاهدوا فيها ما لم يشاهدوه في غيرها وأيقنوا أنها دولة غير عادية وأنها تمتلك من المقومات والإمكانات ما لا يمتلكه معظم الدول وبها شعب يتميز بالكثير من الصفات التي تؤهله للعمل والإنتاج وتحقيق الأمجاد والانتصارات وله طبيعة خاصة به وحده ، ولهذه الدولة مفتاح شخصية علي حد تعبير الكاتب والمؤرخ الكبير جمال بدوي حيث قال (وضعوا أيديهم علي مفتاح شخصيتها فباحث لهم بسرها وجعلت منهم حكاماً يلهج بذكرهم التاريخ)¹

ويوضح هذا الكتاب أيضاً طبيعة هؤلاء القادة وكيف أنهم أشخاص غير عاديين ويشاركون في العديد من الصفات علي اختلاف جنسياتهم ودياناتهم وتوجهاتهم وبيئاتهم التي نشأوا فيها قبل حكمهم لمصر وكيف أن الأوطان المميزة لا يشعر بقيمتها سوي القادة المميزون

وقد لا يشعر البعض بقيمة الشيء إلا عندما يلاحظ اهتمام شخص مميز به فيتساءل عن سر اهتمام هذا الشخص بهذا الشيء ويبدأ في إعادة تأمله وفحصه حتي يدرك حقيقته فيهتم به أيضاً ، فهذا الكتاب سوف يوضح كيف اهتم عظماء التاريخ بمصر وأدركوا أهميتها وتعاملوا معها بشكل مختلف وبالتالي سيوضح لمن لا يعرف قيمة مصر الكثير عن هذا الوطن الذي قال عنه نابليون أنه الإقليم الحسن الأحسن الذي لا يوجد علي وجه الأرض مثله ،

وهذا الكتاب لن يركز فقط علي ما قاله بعض هؤلاء القادة عن مصر ولكنه سيركز أيضاً علي ما فعلوه علي أرض الواقع لأن الإلمام بالأفعال بلا شك سيكون أكثر تأثيراً في تكوين صورة حقيقية عن مصر من الإلمام بالأقوال فالأفعال عادة تكون أكثر إقناعاً من الأقوال ،

وسوف يتضمن هذا الكتاب إن شاء الله عدة فصول تبدأ بالطبع بالحديث عن طبيعة القادة البارزين بشكل عام وبعض ما كُتب عنهم وكذلك طبيعة الشعب المصري وبعض ما كُتب عنه وسيكون ذلك في الفصل الأول من هذا الكتاب ثم الحديث عن مصر وبعض ما كُتب عنها في الفصل الثاني أما الفصل الثالث فيصف ما يحدث عندما تلتقي الشخصيات الغير عادية بوطن غير عادي ثم يتناول الفصل الرابع موجز عام لجميع الدول والإمبراطوريات التي حكمت مصر علي مر التاريخ سواء دول قامت في مصر أو أخضعت مصر كولاية تابعة لها وكيف أن المصريين لم يحكموا مصر لمدة حوالي 2294 سنة تقريباً ثم تتناول الفصول التالية تباعاً أبرز القادة في كل عصر من العصور منذ العصر الفرعوني بحيث يتم تخصيص فصل لكل عصر علي حدة يبدأ بموجز عام وفكرة

¹ محمد علي وأولاده (جمال بدوي) صفحة 33

مبسطة عنه ثم الشخصيات البارزة فيه² ، أما الخاتمة فتلقي الضوء علي الاختيار الصعب الذي كان يتحتم علي القادة الغير مصريين اختياره عند حضورهم إلي مصر ، فهل يختار القائد أن يعود إلي عاصمة ملكه ويترك والياً علي مصر مع اتخاذ بعض الإجراءات والضمانات في مصر قبل عودته ، أم يتخذ مصر عاصمة لملكه ويترك وطنه الذي نشأ فيه وهو ما فعله العديد من القادة علي مر التاريخ من أمثال أبوفيس³ وشاشنق الأول⁴ وبعنخي⁵ وببليموس الأول وأحمد بن طولون وأبو بكر الإخشيد والمعر لدين الله الفاطمي وصلاح الدين الأيوبي وسلاطين المماليك ومحمد علي باشا كما سنري إن شاء الله

ويطيب لي أن أذكر في هذه المقدمة موقف تاريخي قد يوضح ويغني عن الكثير من الكلام والوصف وهو موقف طريف حدث في مصر في عصر الخليفة العباسي المأمون وهذا الموقف يدل علي مكانة مصر وجمالها وحضارتها كما يدل أيضا علي مكانة بغداد عاصمة العباسيين وجمالها وحضارتها في ذلك الوقت ، فعندما حضر الخليفة المأمون إلي مصر لم تعجبه كثيرا عندما قارنها ببغداد فقال لمن معه ما معناه (لعن الله فرعون حيث قال : { يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ }⁶) (فلو رأي بغداد وجمالها ما كان ليقول ذلك عن مصر) فقال له صاحبه يا أمير المؤمنين ألم تقرأ قول الله تعالى {وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَغْرُسُونَ}⁷ (فما ظنك بشئ دمره الله هذا بقيته)⁸

وهناك العديد من المواقف التي يتضمنها هذا الكتاب توضح للقارئ مدي روعة هذا البلد الذي ذكره المولي عز وجل في كتابه الكريم ووصفه بالمقام الكريم عند خروج بني اسرائيل ووراءهم فرعون وجنوده (فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِّنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ⁹

محمد عرموش

² قد تكون هناك شخصية بارزة بالنسبة للبعض ولا تكون كذلك للبعض الآخر ، وبالتالي فإن الشخصيات البارزة ممن حكموا مصر المذكورين في هذا الكتاب تم اختيارهم طبقاً لاجتهاد شخصي بحت والمجتهد قد يخطئ وقد يصيب وأرجو من القارئ أن يلتمس لي العذر عن ذلك ويفترض حسن النية وربما يكون هذا الكتاب بما يحتويه من مصادر دافعا للقارئ للبحث عن معلومات أكثر غزارة ودقة ، وسوف نذكر أيضاً بعض الحكام الغير بارزين ولكن وقعت في عهدهم أحداث بارزة

³ من أهم وأشهر ملوك الهكسوس خلال عصر الاضمحلال الأول الفرعوني

⁴ ملك ليبي الأصل

⁵ ملك نوبي

⁶ (51) سورة الزخرف

⁷ (137) سورة الأعراف

⁸ فضائل مصر وأخبارها وخواصها (ابن زولاق) صفحة 54

⁹ الشعراء 57 ، 58